



تأملات نقدية في أدب الدكتور وليد قصاب



الدكتور «وليد قصاب» أثري حياتنا الأدبية بكتابه النقدية وقصصه وأشعاره وكلها في إطار الأدب الإسلامي. فما هي مفاهيم الأدب الإسلامي التي قام بالتنظير لها في دراساته وأبحاثه النقدية؟ وكيف تجلت هذه المفاهيم تطبيقياً في شعره وقصصه؟



د. صلاح عدس - مصر

إن الأدب الإسلامي هو تعبير فني جمالي عن مضمون إسلامي، أي عن الرؤية والتصور الإسلامي لله.. والكون والإنسان والحياة..^(١)، والدفاع عن القيم الإسلامية قيم الحق والعدل والخير والحرية، والانتصار لهذه القيم ضد الباطل والظلم والشر والقهر.. أي أن يكون للأديب رسالة وهدف إلى جانب المتعة الفنية التي يحققها العمل الأدبي من خلال الشكل الفني بقواعده وجمالياته، ولكن لا يكون العمل الأدبي مجرد زخارف، أو هندسة لفظية، أو تركيبات لغوية جمالية تشبه زخارف الأرابيسك، أو الرسوم التجريدية في الفن التشكيلي الحديث، والتي لها جذور في فلسفة الجمال عند «كانت» كما يقول «هربرت ريد» في كتابه «مفهوم الفن»..^(٢)

هذا ما يدعو إليه مذهب الفن للفن، والذي يرفضه الأدب الإسلامي لأنه يخلع عن الأدب وظيفته، بينما الأديب الإسلامي صاحب دعوة ورسالة، وقد عبر عن ذلك الدكتور وليد قصاب^(٣)...

ونحن نذكر بهذه المناسبة مقولة «ريتشاردز» في كتابه «أسس النقد الأدبي»: (إن الشكل هو الذي يحدد عظمة العمل الأدبي)^(٤)... ولذلك فنحن نقوم الأدب بحسب عقيدتنا الإسلامية، فلماذا يستنكر علينا العلمانيون والماركسيون ذلك، ويرفضون الأدب الإسلامي؟ بينما هم في الواقعية الاشتراكية يقومون بالعمل الأدبي بحسب انتماء الأديب الطبقي وبحسب أيديولوجيتهم الماركسية... والدكتور وليد قصاب يرفض بذلك اتجاه الفن للفن؛ ويرفض الرومانسية اليائسة، ويرفض الواقعية المخزية التي تسمى باسم «الطبيعية» في روايات «بلزاك» و«إميل زولا»^(٥)..

وهذا الاتجاه للواقعية الطبيعية يقلده نجيب محفوظ في عرض الشخصيات السلبية والمخمورين والعاهرات والبلطجية والشذوذ والمجون، وذلك بعكس نجيب الكيلاني، والدكتور وليد قصاب وغيرهما ممن يتبعون مذهب «الواقعية الإسلامية» التي تصور الشخصيات الإيجابية في الحياة والمجتمع، وتصور الصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ولكنها تنحصر دائماً في النهاية للقيم الإنسانية الإسلامية... وهنا يهاجم الدكتور وليد قصاب دعاة الانحلال والحرية الفوضوية باسم الإبداع وحرية الإبداع^(٦)....

وهنا تتضح أهمية الأدب الإسلامي وسيلة للدفاع عن الإسلام في مواجهة من يهاجمون ويتناولون على الله ورسوله وصحابته ودينه في أعمال يسمونها أدباً أو فناً باسم حرية الإبداع..

والأدب الإسلامي ليس بالضرورة أن يكون مدحاً للنبي ﷺ، أو تمثيلات من التاريخ الإسلامي، وإنما يمكن أن تكون موضوعاته من الحياة والواقع الاجتماعي، والمهم هو المضمون الإسلامي، أي الرؤية الإسلامية للحياة والواقع، أي أن المهم هو الدعوة لقيم النبيل والنخوة والشهامة والصدق والأمانة والتضحية، والدفاع عن الخير والحق، وتأييد الكفاح

ضد الظلم والقهر، وتمجيد النضال من أجل حياة أفضل، وكل هذا مهما تعددت الموضوعات.

وهذا ما نجده في إنتاج كاتبنا الدكتور وليد قصاب «الشعري» والقصصي... وهو يتميز بالبساطة والوضوح لأنه صاحب دعوة، وصاحب رسالة، فلم يقع فيما وقع فيه غيره من الإلغاز والتعقيد باسم «الحداثة»، وهو أمر ترفضه طبيعة لغتنا العربية وفلسفتها البلاغية التي تعرف الخيال والرمز، ولكنها لا تعرف الخيال المطلق، ولا الرمز المفلق، وإنما لا بد من علاقة منطقية في المجاز، فلا بد في التشبيه من وجه الشبه، ولا بد في الاستعارة من جامع، أي لا بد في التعبير المجازي من قدر من الوضوح. وقدر من المنطق، وهذا ما نجده في قصص الدكتور وليد قصاب وأشعاره، ولذلك نجده

يتميز بتوافقه مع طبيعة لغتنا العربية وفلسفتها البلاغية.

وقد هاجم «الجرجاني» الغموض والتعقيد في شعر أبي تمام^(٧)... وهذا يذكرنا بما شهده الشعر الإنجليزي المعاصر من عودة إلى البساطة على يد «كوفمان» و«فيليب لاركن»، والهجوم على غموض وتعقيد الشاعر «ت.س. إلويوت»، إذ اعتبروا شعره مجرد حذلقات، واستعراض للعضلات الثقافية تدخل في باب الفلسفة لا في باب الشعر، لأنه يجب أن يكون الشعر نابعا من القلب ليصل إلى القلب^(٨).... وهذا بالضبط ما توصل إليه «الجرجاني» قبل أكثر من ألف عام، وهذا أيضاً ما نراه في شعر الدكتور «وليد قصاب» ولنستمع إليه في قصيدة من المحور الإنساني يخاطب طفله فيقول بشاعريته البسيطة الدافئة الرقيقة:

بنيتي الأخيرة

كأختها وأختها

قصيدي الأثيرة

وجدول من السنا

يرقرق النميرا

بدورنا ثلاثة

تمحو الأسى

وتغرس الحبورا

يا ريم

يا آخر العنقود في بستاننا

يا زهره النضيرا





ملأت عالمي هنا

وفي المدى من حولنا

وحالها من اسمها

غزالة طيارا

لا تعرف الفتورا

رزقت ريماً في الكبر

والعمر شاخت شمسها

وكاد يأفل القمر

فاخضوضرت حولي الفيافي

وربا فيها الزهر.

أما عن قصص الدكتور وليد قصاب فلعل رائحته هي مجموعته «الصرخة» ومن أجملها قصته «أبو

الهوامش:

(١) انظر كتاب الأدب الإسلامي - تأليف د. صابر عبد الدائم.

(٢) the meaning of art. by: Herbert Reed. p.30

(٣) مجلة الأدب الإسلامي - العدد ٧٨ - مقال الدكتور وليد القصاب بعنوان: «مقاربة النص الأدبي».

محمد، وهذه الكنية هي كنية وهمية للبطل الذي لم ينجب سوى البنات، وتردد كثيراً في الزواج بأخرى لعلها تلد له ذكراً، ونشأ لديه صراع داخلي لأن مسألة الإنجاب غيب قدرتي في يد الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا ثَائِفٌ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى - ٤٩) ثم من يدري أن الزوجة الجديدة ستلد محمداً، إذ ربما تلد بنتاً، ثم من يدري ربما يكون هذا الولد شراً ووبالاً عليه بعقوبه له، ثم إن زوجته الحالية لم يحدث منها إساءة له، بل إنها قبلت زواجه بأخرى من أجل سعادته،

مما أنهى الصراع لديه، وقبل قضاء الله، وانفجرت الأزمة النفسية لديه، إذ أخجلته ردود زوجته، فقال لها بصدق: البنات عمري. وضعكا، وسارت الحياة بهما رخية.

وهكذا ينتهي الحدث الدرامي بلحظة التنوير التي تكشف عن المعنى الكلي من خلال التسيج الفني الرقراق الجذاب، أي السرد والوصف والحوار، ومن خلال المضمون الإسلامي الذي يتجلى في كل أشعار وقصص الدكتور وليد قصاب ودراساته النقدية.. ■

- تأليف القاضي الجرجاني - وفيه يقول الجرجاني عن أبي تمام: (اجتلب الماني الفامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقل، فلم يصل إلى القلب إلا بعد إغراب الفكر). History of English literature. (٨) by: Ifor Evama p.33

principles of literary criticism. (٤) by: A. Richarda. p.53

History of brench literary. (٥) by: Geoffrey Brereton. p.71

(٦) مقال الدكتور وليد القصاب بمجلة الأدبي الإسلامي - العدد ٨٠ -

(٧) كتاب الوساطة بين المتبني وخصومه

لقاء

— إيمان بدران - فلسطين —

كالدوح يَشْفِي من عَقِيمِ الداءِ
أو كالنَّجْمِ تَلَأَلَتْ بِسَمَائِي
بلسانٍ شَهَدَ فِي سِلَاسَةِ مَاءِ
بَيضاءَ تَنْضَحُ بِالسَّنا الوُضاءِ
كالْعُودِ غَضًّا قَدْ أُحِيطَ بِمَاءِ
تَزْدَادُ شَوْقًا لِلْبَعِيدِ النَّائِي
وَالْعَيْنُ تَلْمَعُ فَرَحًا بِلِقَاءِ
الْحُبِّ زَيْنَ رَوْضِهَا بِإِخَاءِ

طَيْفُ الْأَحْبَةِ مَا أَرَقَّ عَبِيرُهُ
بَسَمَاتُهُمْ مِثْلُ النَّسِيمِ عَلِيلُهُ
لِلَّهِ دُرُّ الْوُدِّ لَمَّا يَنْجَلِي
أَحْبَبْتُهُمْ لَمَّا عَرَفْتُ قُلُوبَهُمْ
مَرَّتْ دُهورٌ وَالْمُشَاعِرُ لَمْ تَزَلْ
اللَّهُ فِي طَبَعِ الْقُلُوبِ وَنَبْضِهَا
فَإِذَا دَنَا رَقَصَ الْفُؤَادُ مَحَبَّةً
وَتَرَى الْحَيَاةَ كَأَنَّهَا فِي زُخْرَفٍ